'سوف ندمر الفلوجة': حين يختصر مشهدا من ثوان واقعا سياسيا معقدا!

17-11-2004

العبارة كاشفة غير أنها تطرح أسئلة لا حصر لها من دون أن تعد بإجابات. أسئلة حول ماهية التدريب الذي يتلقاه الجنود العراقيون على أيدي القوات الأمريكية؟ هل يتدرب العراقيون على كيفية إشعال حرب أهلية؟ هل يتدرب العراقيون على "تدمير مدنهم وقتل بني جلدتهم" بدم بارد هكذا بل والمجاهرة بالإثم؟ على ماذا يتدرب الجيش العراقي وأي فلسفة عسكرية وأخلاقية تحكم تصرفاته؟ هل يكشف

بقلم أميمة عبداللطيف

كان المشهد مروعا يشابه في بشاعته تلك الصور المهينة الآتية من معتقل أبو غريب، غير أن الجرح -هذه المرة- في اليد كما يقولون. كان التقرير الإخباري الذي بثته فضائية العربية صبيحة يوم الاثنين الثامن من نوفمبر يوجز استعدادات الجيش الأمريكي ومعه الحكومة العراقية لمهاجمة الفلوجة. وبينما كان المعلق منشغلا بكلمته الختامية حول معركة الفلوجة إذ بالمشهد الصدمة الذي لم يستغرق ثوان معدودة يضع خاتمة تلقائية من دون الحاجة لكلمات المعلق الإنشائية. المشهد كان لجندي عراقي يحمل بندقيته ومحاط بعدد من الجنود العراقيين الذين ما إن واجهوا الكاميرا حتى هتفوا بكلمات غير مفهومة، وفي القلب من تلك الدائرة العراقية وقف بعض الجنود الأمريكيين، وإذا بالجندي العراقي يقول بصوت عال وبإنجليزية سليمة موجها حديثه للجندي الأمريكي الذي يقف قبالته "We will destroy Falluja"..."سوف ندمر الفلوجة"، قالها الجندي العراقي بكل تصميم كمن يعرف تمام هدفه، انتهي المشهد.

"سوف ندمر الفلوجة".. لو أنها أتت من جندي أمريكي لكان الأمر مفهوما، أما وأنها قد أتت من جندي عراقي فالأمر يثير إلتباسا هائلا. ما الذي دفع بالجندي العراقي لأن يتفوه بهذه الكلمات؟ هل ثمة ما يشي بـ"غل طائفي" أو "كراهية عنصرية الدوافع" في تلك العبارة. كان الجندي العراقي في هذا المشهد كمن يريد أن يؤكد لقائده –الأمريكي بالطبع- أنه سيكون عند حسن ظنه به لأنه يشاركه الرغبة في "أن ندمر الفلوجة".

العبارة كاشفة غير أنها تطرح أسئلة لا حصر لها من دون أن تعد بإجابات. أسئلة حول ماهية التدريب الذي يتلقاه الجنود العراقيون على أيدي القوات الأمريكية؟ هل يتدرب العراقيون على كيفية إشعال حرب أهلية؟ هل يتدرب العراقيون على "تدمير مدنهم وقتل بني جلدتهم" بدم بارد هكذا بل والمجاهرة بالإثم؟ على ماذا يتدرب الجيش العراقي وأي فلسفة عسكرية وأخلاقية تحكم تصرفاته؟ هل يكشف الأمر عن محاولة أمريكية خبيثة للدفع بالعراقيين الشيعة لأن يقاتلوا في مناطق الأغلبية السنية والأكراد في المناطق ذات الأغلبية العربية مع التلميح لكل طرف بإمكانية أن ينتقم كما شاء "من البعثيين والسنة الذين أذوهم في عهد صدام حسين".

"سوف ندمر الفلوجة".. ماذا لو كانت تلك هي العقلية السائدة بالجيش والشرطة العراقيين، هل يصبح من البديهي أن يكون هؤلاء الجنود هدفا مشروعا؟

"سوف ندمر الفلوجة".. من سيدمر الفلوجة؟ هل هو الجندي العراقي الذي لا يملك سوى بندقيته أم الجندي الأمريكي الذي رد عليه بإبتسامة باهتة لأن بيده الأمر والنهي وآلة عسكرية جبارة. أما الجندي العراقي والحكومة العراقية برمتها فليست سوى ورقة توت تحمي الإحتلال

وتعطيه وجها عراقيا. لاحظ كيف أن الأخبار -بالذات في الصحافة الأمريكية- تشير إلى "علاوي يعطي إشارة البدء بالهجوم على الفلوجة"، وكأن إشارة البدء لم تعط منذ زمن من قبل السيد الأمريكي. كان المشهد قصيرا وكانت اللقطة قد ذيلت التقرير الإخباري. قد يكون هناك مبالغة في التركيز على هذا المشهد، ذلك أن هناك جنودا عراقيين رفضوا أن يشاركوا في الهجوم على الفلوجة. ولكن المثير للأسي أن زمرة الجنود العراقيين الذين أحاطوا بهذا الجندي بدوا وكأنهم يوافقونه الرأي. لم يظهر الجندي الذي "يريد أن يدمر الفلوجة" وحيدا بل كان مدعوما برفقاء السلاح العراقيين وكان لابد من أن يحظي بالمباركة الأمريكية.